المبحث الثاني
دفاعات الأزهري

دفاعات الأزهري

بالبحث في كتاب معاني القراءات للأزهري وجدته في مواطن عديدة يدافع عن بعض القراءات التى وجه إليها طعن ، وصدر ضدها حكم بالتخطئة وبعدم الجودة ، وغير ذلك من أحكام ، سواء كانت هذه الأحكام صادرة من جهة الأزهري ـ نفسه ـ أو من جهات أخرى ، فانبرى الأزهري مدافعا ومنصفا القراءة من نفسه ومن غيره ، وجاءت هذه الدفاعات في أسلوب صريح وعبارة كاشفة واضحة ، كما سبقت في أسلوب استنبطت منه الدفاعات ، وفهمت منه تلك الإنصافات .

دفعني هذا إلى تسجيل ورصد هذه المواضع لدراستها ومناقشتها والتعليق عليها لوضع رؤية حقيقية ، واستخلاص النتائج اللازمة .

وإليك هذه الدفاعات ، مدروسة ثم يأتي بعدها تعقيب إن شاء الله تعالى :

الدفاع الأول :

عند قول الله تعالى : ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة:٧] يعرض الأزهري القراءات في لفظ ﴿غَيرِ﴾ فيقول : «قرأ أبو عمرو ونافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي ويعقوب : ﴿غَيرِ ٱلمَغضُوبِ﴾ بالكسر ، واختلف عن ابن كثير ، فقال : أبو حاتم : قال بكار: حدثني الخليل بن أحمد عن ابن لعبد الله بن كثير المكي : أنه قرأ : «غير المغضوب عليهم» نصبا ، قال بكار : وحدثني الغمر بن بشير عن عباد الخواص ،قال : قراءة أهل مكة : «غير المغضوب» بالنصب قال أبو حاتم : روى هارون الأعمور عن أهل مكة : النصب في «غير» قال أبو منصور : وروى غير هؤلاء عن ابن كثير أنه قرأ «غير» بالكسر كما قرأ سائر القراء» [(١)].

---

(١)كتاب معاني القراءات ١/ ١١٥ ، ١١٦ .

موقف الأزهري من القراءتين السابقتين :

قال أبو منصور : «والقراءة الصحيحة المختارة ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ﴾ بكسر الراء ، ونصب الراء شاذ» [١] .

التعليق والمناقشة :

لقد اختار الأزهري قراءة الكسر ووصفها بالصحة ، أما قراءة النصب لابن كثير فوصفها بالشذوذ ؛ ولذلك ذكر رواية أخرى عن ابن كثير تقول بالنصب مثل بقية القراء ، وكان يمكن أن يكتفي الأزهري بذلك إلا أنه ذكر عن الفراء والزجاج جواز النصب والتخريج له ويتخلص في وجهين ، هما : الحال والاستثناء [٢] وأضاف أبو على الفارس ثالثا حكاه عن الخليل بن أحمد ، وهو القطع ، أي : أعمني [٣] .

تعليق الأزهري :

يقول العلماء في جواز النصب والتخريج له يعتبر ردا ودفاعا عما ذهب إليه من تشذيذ قراءة النصب لابن كثير .

الدفاع الثاني :

عند قول الله تعالى : ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ [البقرة:٦] يسوق الأزهري كلاما لأبى حاتم يذكر فيه : «ونحن نكره الجمع بين همزتين ، قال : ومما يدلك على كراهية العرب اجتماع الهمزتين قول الله تبارك وتعالى : ﴿هَٰٓأَنتُمْ﴾ [آل عمران:٦٦ ، ١١٩ ، النساء: ١٠٩ ، محمد :٣٨] قال أبو حاتم : قال الأخفش :إنما هو «أنتم» أدخلوا بين الهمزتين ألفا استثقالا لهما ، وأبدلوا من الهمزة الأولى هاء كما قالوا : هرقت الماء وأرقت ، وقالوا : هباك ، بمعنى إياك» [٤]

---

(١) كتاب معاني القراءات ١/ ١١٦ .

(٢) السابق : ١/ ١١٦ ، ١١٧ (ملخصًا) .

(٣) الحجة ١/ ١٠٦ .

(٤) كتاب معاني القراءات ١/ ١٣١ .

ويرد على أبى حاتم بما يلى :

ما كرهه أبو حاتم من اجتماع الهمزتين المحققتين دون إدخال وسيلة تخفيف، قد أتت به الرواية ، كما أتت روايات بالتخفيف ، فقد قرأ بهما أي : بالهمزتين من القراء غير ابن كثير ونافع وأبى عمرو ويعقوب ، وقال الأزهري معلقا : «كل ذلك عربي فصيح ، فمن همز همزة مطولة فر من الجمع بين الهمزتين ، ومن جمع بينهما فهو الأصل» [(١)] فقرر الأزهري لاجتماع الهمزتين أمرين :

أ ـ العربية الفصيحة : بل عزاها العلماء إلى تميم [(٢)].

ب ـ الأصالة : ولو رد الأزهري بهذا ـ صراحة ـ على أبى حاتم لكان أصوب ، لكن الرد مستنبط .

٢ـ القرآن والقراءات زاوجا بين المبدل والمبدل منه ، فقال : ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ [البقرة:٦] وبإدخال ألف بينهما ، وقال : ﴿ هَٰٓأَنتُمْ ﴾ ولو كره القرآن الهمزتين لقال : «هآ نذرتهم» .

تمثيل أبى حاتم لكره العرب اجتماع الهمزتين المحققتين بهرقت الماء وأرقت وهياك وإياك ليس في محله ؛ لأن الحديث عن الهمزتين والتمثيل بالهمزة الواحدة ، ومع ذلك فالصورتان في اللغة على سبيل التبادل ، يقول ابن جنى : «الهاء بدل من الهمزة ، كقولهم في أرقت : هرقت ، وأوردت ، هردت ، وأرخت الدابة : هرخت ، وأثرت التوب : هثرت» [(٣)]

---

(١) كتاب معاني القراءات ١/ ١٣٠ .

(٢) الكتاب لسيبويه ٣/ ٥٥١ تحقيق الشيخ / عبد السلام محمد هارون الخانجى / القاهرة والبحر المحيط لأبى حيان ١/ ٤٧ .

(٣) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ١/ ٣٩ ، ٤٠ تحقيق / على النجدى ناصف وآخرين سنة ١٣٨٦ هـ .

إذا ثبت أن قراءة الهمزتين المحققتين هى على الأصل فإن قراءة «إياك» بالهمزة المفردة هى الأصل ، بدليل إجماع القراء على قراءتها بالهمزة في : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥] ولم تكن ـ هناك ـ قراءة بالهاء إلا لأبى سوار الغنوى ، وهى لهجة من لهجات العرب [١] :

الدفاع الثالث :

عند قول الله تعالى : ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ﴾ [البقرة:٢٤٦] يحكى الأزهري القراءات في ﴿عَسَيْتُمْ﴾ فيقول : « قرأ نافع وحده «عسيتم» بكسر في السورتين «هنا وفي سورة القتال : ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد:٢٢] وقرأ يعقوب ها هنا بفتح السين وفي سورة القتال «عسيتم» وسائر القراء قرؤوا «عسيتم» [٢] .

موقف الأزهري من القراءتين السابقتين:

موقفه من قراءة الفتح: لقد اختار الأزهري قراءة الفتح، وقدم الدليل على صحتها فقال: «وهى المختارة» [٣] وقال: «وأهل اللغة اتفقوا على ﴿عَسَيْتُمْ﴾ بفتح السين، والدليل على صحتها اجتماع القراء على قوله : ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾ [الأعراف:١٢٩ والإسراء: ٨ والطلاق:٨] لم يقرأه أحد: عسى ربكم» [٤] .

موقفه من قراءة الكسر:

عقب الأزهري على قراءة الكسر بقوله : «واتفق أهل اللغة على أن كسر السين ليس بجيد ،وأنا أحسبها لغة لبعض العرب و إن كرهها الفصحاء» [٥].

---

(١) ينظر أحكام الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ١٩٣ دار الغد العربي ط١ / ١٩٨٨م ١٤٠٩هـ .

(٢) كتاب معاني القراءات ١/ ٢١٤ .

(٣) السابق .

(٤) السابق .

(٥) السابق : ٢/ ٣٨٧ .

التعليق والمناقشة:

حوى تعليق الأزهري على قراءتي الفتح والكسر في ﴿عَسَيْتُمْ﴾ على عدة نقاط جديدة بالبحث، هي:

الأولى :جعل الأزهري يعقوب مع نافع في القراءة بالكسر في سورة القتال ، ونص على ذلك عندما قال : «قرأ نافع ويعقوب «عسيتم» بكسر السين» [(١)] وهذا ما لم أقف عليه فيما رجعت إليه من كتب القراءات ،وهذا ـ أيضا ـ ما قرره محققوا الكتاب .

الثانية : دفاع الأزهري عن قراءة الكسر بإثباتها لهجة من لهجات العرب، وهذا في مواجهة أهل اللغة الذين وصفوها بعدم الجودة، فهي لهجة وإن كان قد بناها على الحسبان في موضع، فقد أكدها في موضع آخر بقوله : «فهي لغة» [(٢)] إلا أنه مع هذا التأكيد لم يعزها، وهى معذوة إلى أهل الحجاز [(٣)].

الثالثة : وصف لهجة الحجاز في «عسيتم»بالكسر ، لقد ثبتت لهجة على الرغم من كره الفصحاء لها،لكن الأزهري يصف هذه اللهجة بأنها «وليست بالكثيرة الشائعة» [(٤)].

وعبارة الأزهري ـ هنا ـ أخف وألطف من عبارات أخرى ،كعبارة ابن السكيت الذي يقول فيها : «إن «عسيتم» لغة ، ولكنها لغة رديئة» وقول أبى حاتم : «ولا وجه لـ«عسيتم» [(٥)] .

---

(١) معاني القراءات ٢/ ٣٨٨ .

(٢) البحر ٢/ ٢٥٥ .

(٣) معاني القراءات ٢/ ٣٨٨ .

(٤) السابق :٢/ ٣٨٨.

(٥)إعراب القرآن للنحاس ١/ ٣٢٥ .

الرابعة : دليل الأزهري على قراءة الفتح بـ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾ [الإسراء:٨١] هذا الدليل مردود ؛ لأن لهجة الحجاز الكسر إذا اتصلت ب(عسى) الضمائر ، قال أبو بكر الآذفوى وغيره : «إن أهل الحجاز يكسرون السين من ﴿عَسَىٰ﴾ مع المضمر ـ خاصة ـ وإذا قيل : عسى زيد ، فليس إلا الفتح ، وينبغي أن يقيد المضمر بما ذكرناه» [١] فالدليل ليس في محله ، فإن قيل : ما قولك في قراءة غير نافع من فتح السين مع المضمر ؟ أقول : قرأ القراء بالفتح على سبيل الجواز لا الوجوب ، جاء في البحر : «والمحفوظ عن العرب أنه لا تكسر السين إلا مع تاء المتكلم والمخاطب ونون الإناث ، نحو: عسيت وعسيت وعسين على سبيل الجواز لا الوجوب ، والفتح فيما سوى ذلك على سبيل الوجوب» [٢] ولذلك رد أبو حيان على أبى عبيد قوله : «لو كان «عسيتم» بكسر السين لقرئ : ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾» بقوله : «وهذا جهل من أبى عبيد بهذه اللغة» [٣] .

الخامسة : ليس نافع ـ وحده ـ هو الذي قرأ بالكسر، بل يضاف إليه الحسن وطلحة بن مصرف [٤] وإن كان هذا ليس من منهج الأزهري، إلا أنه استخدمه في مواطن، وعلى كل حال فإضافة القراء ـ هنا ـ إلى نافع يقوى القراءة بهذه اللهجة الفصيحة . ويهمنا ـ هنا ـ دفاع الأزهري عن القراءة بإثباتها لهجة من لهجات العرب.

الدفاع الرابع:

عند قول الله تعالى : ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾ [البقرة:٢٧١] .

---

(١) البحر ٢/ ٢٥٥ .

(٢) السابق .

(٣) السابق .

(٤) إعراب القرآن ١/ ٣٢٥ .

متصل يعرض الأزهري القراءات في ﴿فَنِعِمَّا﴾ فيقول: «قرأ ابن كثير وعاصم في رواية حفص عنه، والأعشى عن أبى بكر عنه، ويعقوب : ﴿فَنِعِمَّاهِيَ﴾ بكسر النون والعين، وكذلك روى ورش عن نافع بكسر النون والعين، وقرأ أبو عمرو ونافع وعاصم في رواية يحيى عن أبى بكر عن عاصم والمفضل عنه ﴿فَنِعِمَّاهِيَ﴾ بكسر النون وتسكين العين ، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي: «فنعما هي» بفتح النون وكسر العين وتشديد الميم[(١)].

موقف الأزهري من القراءات السابقة:

أولا : موقفه من القراءة بكسر النون والعين، يجوز الأزهري هذه القراءة، فيقول: «من قرأ: ﴿فَنِعِمَّاهِيَ﴾ بكسر النون والعين، فهو جيد؛ لأن الأصل في نعم ونعم: ثلاث لغات» [(٢)] .

ثانيا : موقفه من القراءة بفتح النون وكسر العين، فقد ربطها باللهجات، يقول : «من قرأ : ﴿فَنِعِمَّاهِيَ﴾ فهي على لغة من يقول:نعم» [(٣)].

ثالثا : موقفه من قراءة كسر النون وتسكين العين وتشديد الميم، واتسم هذا الموقف بخمسة أمور:

ربط القراءة باللهجة، فيقول : «وأما من قرأ : ﴿فَنِعِمَّا﴾ بكسر النون وسكون العين وتشديد الميم، فهى على لغة من يقول: نعم كاثم، أدغم الميم من نعم في ما وشددها وترك العين على حالها ساكنة» [(٤)] .

بيان موقف أهل البصرة من هذه القراءة، يقول: «وهذه القراءة عند نحوى أهل

---

(١) كتاب معاني القراءات ١/ ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

(٢) السابق ١/ ٢٢٨ .

(٣) كتاب معاني القراءات ١/ ٢٢٨ .

(٤) السابق ذاته .

البصرة غير جائزة؛ لأن فيها الجمع بين ساكنين مع غير حرف مد ولا لين» [١] .

بيان موقف أبى عبيد، وهو نحوى بصرى، يقول: «وكان أب عبيد يختار هذه القراءة» [٢] .

موقف أهل النحو مرة ثانية، يقول : «ولم يجزها أهل النحو» عمم هذه المرة .

بيان موقف الأزهري نفسه، يقول : «والقراءة «فنعما» أو «فنعما» ومعناهما: فنعم الشيء» [٣] .

التعليق :

يشم من موقف الأزهري تجاه قراءة كسر النون وتسكين العين وتشديد الميم الدفاع عن هذه القراءة ، وإن كان قد اختار غيرها ؛ وذلك لما يلى :

ربطه القراءة باللهجة .

ذكره اختيار أحد العلماء لهذه القراءة .

فعندما يذكر الأزهري هذين الأمرين في وسط هذا الرفض النحوى يمكن أن يعد جوازا ومرورا لهذه القراءة .

الدفاع الخامس :

عند قول الله ــ تعالى : ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ [المائدة:١١٢] يذكر الأزهري القراءات فيها ، فيقول : «قرأ الكسائى والأعشى عن أبى بكر : «هل تستطيع ربك» بالتاء ونصب الباء من «ربك» وقرأ الباقون : بالياء ورفع الباء من «ربك» [٤] .

---

(١) معاني القراءات ١/ ٢٢٩ .

(٢) السابق .

(٣) السابق .

(٤) السابق ١/ ٣٤٣ .

توجيه الأزهري للقراءتين :

يوجه الأزهري قراءة الكسائى ومن معه بما قاله أبو زيد ، فيقول : «وأخبرني المنزري عن أبى اليزيدي عن أبى زيد أنه قال في قول الله ـ جل وعز : «هل تستطيع ربك» معناه عندنا :هل تدعو ربك ؟ هل تستطيع بدعائك أن ينزل» [١] ثم يقوم الأزهري بتوجيه قراءة الياء ، مع رفع الباء ، فيقول :

«ومن قرأ بالياء فمعناه : هل يفعل ربك ؟ لأن القوم لم ينكروا ولم يشكوا أنه يستطيع» [٢] .

وكان للأزهري أن يكتفي بذلك ، أي : بتوجيه قراءتي التاء ، والتاء إلا أنه ذكر موقف بعض العلماء من قراءة التاء ، فقال : «وقال أبو نصير النحوى : الاختيار «هل تستطيع ربك» على معنى : هل يستجيب لك ربك ، هل تسأله ذلك ؟ قال : وكانت عائشة تنكر القراءة الأخرى ، وتقول : كان القوم أعلم بالله من أن يقولوا : ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ [٣] .

موقف الأزهري أبا نصير يختار قراءة ويدعم هذا الاختيار بإنكار عائشة > ساق كلاما للفراء يواجه به هذا الإنكار ، قال : «وقال الفراء : من قرأها ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ هذا كقولك : هل يستطيع فلان القيام معنا ؟ وأنت تعلم أنه يستطيع ذلك ، فهذا وجه هذه القراءة» [٤] فاكتفاء الأزهري بهذه الفقرة من كلام الفراء ، كأنه يدافع بها عن قراءة الياء، وأيضا عبارة «فهذا وجه هذه القراءة» لم تذكر في كلام الفراء ، فتوجيه الأزهري لقراءة الياء أولا ، ثم ذكره لكلام الفراء بعد كلام

---

(١) معاني القراءات ١/ ٢٢٩ ..

(٢) السابق ١/ ٣٤٣ .

(٣) السابق ١/ ٣٤٣ ، ٣٤٤ .

(٤) السابق ١/ ٣٤٤ والنص في معاني القرآن للفراء ١/ ٣٢٥. بتصرف قليل.

أبى نصير ، ثم زيادة عبارة «لهذا وجه هذه القراءة» لدليل على قوة قراءة الياء .

الدفاع السادس :

عند قول الله تعالى : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ ﴾ [الأعراف:١٢٣] يذكر الأزهري القراءات ، وهى : «قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب : «آمنتم» بهمزة مطولة ، على الاستفهام ، ومثله في سورة [طه: ٧١] و [الشعراء: ٤٩] ، وروى قنبل عن ابن كثير : «قال فرعون وأمنتم» بواو بعد النون ، وألف مقصورة بعد الواو ، وفي طه : «آمنتم» على لفظ الخبر ، وفي الشعراء : «آمنتم» مثل أبى عمرو ، قرأ بكر وحمزة والكسائي : «أآمنتم» بهمزتين ، الثانية ممدودة ، وهذه رواية الأعشى عن أبى بكر عن عاصم ، ولا يذكرها يحيى ولا غيره عن أبى بكر إلا الأعشى ، وقرأ عاصم: «آمنتم» على لفظ الخبر في الثلاثة المواضع ، وكذلك روى ورش عن نافع مثل حفص ، وروى هبيرة عن حفص في الشعراء بهمزتين» [(١)] .

موقف الأزهري من القراءات السابقة :

للأزهري موقفان من القراءات السابقة :

الموقف الأول : إجازة جميع القراءات ما عدا قراءة ابن كثير والتى رواها عنه قنبل ، فبعد أن وجه القراءات ، قال : «وكل ذلك جائز» [(٢)] .

الموقف الثاني : عدم اعترافه بقراءة ابن كثير وعدم حبه القراءة بها ، قال : «وأما ما روى لابن كثير : «قال فرعون وأمنتم به» فإني لا أعرفها ، ولا أحب القراءة بها ؛ لأن الواو زيادة في المصحف» [(٣)] .

التعليق والمناقشة:

موقف الأزهري من قراءة ابن كثير موقف الرافض لهذه القراءة ، يتكلم بها،

---

(١) كتاب معاني القراءات ١/ ٤١٨ ، ٤١٩.

(٢) السابق ذاته .

(٣) السابق ذاته .

ويجعل الواو بدلا من الهمز [١] فقوله هذا يعتبر دفاعا عن القراءة ، وإنصافا للقراءة عن نفسه ، ومما يقوى هذا الدفاع ما يلى : ـ

قراءة ابن كثير موضع الأعراف ـ فقط ـ بالواو دون موضعى طه والشعراء ،مما جعل العلماء يوجهون موضع الأعراف بأنه جاء بعدم ضم ، وأما الموضعان الآخران فبعد فتح فرجع عنه ابن كثير بالرواية ، يقول ابن خالويه : «فيكون هذا على أن أشبع ضمة نون «فرعون» حتى صارت كالواو» [٢] .

إشباع الضم حتى يتولد منه واو جاء على مستويات ثلاثة [٣]:

المستوى اللهجى : إشباع الضم لغة العرب ، قال زيد و، وجاءني بكرو .

مستوى القراءات : روى ورش عن نافع : «إياك نعبد وإياك نستعين» .

جـ مستوى الشعر : قال الأعشى :

ويلى عليك وويلى منك يا رجلو .

الدفاع السابع :

عند قول الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ﴾ [الأنفال:٣٥] يقول الأزهري : «حكى سفيان الثورى عن عاصم ، وهارون عن حسين عن أبى بكر عن عاصم : «وما كان صلاتهم» نصبا «إلا مكاءً وتصدية» بالرفع ، والباقون : «صلاتهم» رفعا «إلا مكاءٌ وتصديةٌ» نصبا» [٤] .

موقف الأزهري من قراءة عاصم :

دافع الأزهري عن قراءة عاصم في مواجهة اتهامه باللحن في رواية الثورى: «قال

---

(١) كتاب معاني القراءات ١/ ٤١٨، ٤١٩ .

(٢) إعراب القراءات السبع وعللها لابن خالوية ١/ ٢٠١ .

(٣) السابق ١/ ٢٠١ ، ٢٠٢ بتصرف .

(٤) معاني القراءات ١/ ٤٣٩.

الثورى: قال لى الأعشى لما أعلمته قراءة عاصم : إن لحن عاصم تلحن أنت ؟ [١] فقد دافع الأزهري بما يلى :

توجيه قراءة عاصم ، فقال : «نصبوه على أنه خبر كان ، والاسم مؤخر ، وهو «إلا مكاء» [٢] وهذا وجه في العربية صحيح ، كما قال الأزهري نفسه.

مكانة عاصم العلمية: يقول الأزهري: «وليس بلحن، وكان عاصم فصيحا، وكان كثيرا يقرأ الحرف على وجهين ، ولا يقرأ إلا بما سمع ، ووجهه في العربية صحيح» [٣] .

فقد وضع الأزهري أسسا للدفاع عن عاصم ، ومع ذلك نقده في عدة مواضع من كتابه ، سنناقشها في أماكنها ـ إن شاء الله .

الدفاع الثامن :

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ﴾ [الأنفال:٥٩] .

القراءات :

في ﴿يَحْسَبَنَّ﴾ : قرأ ابن عامر وحفص وحمزة : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ بالياء ـ ها هنا ـ وكذلك في النور إلا حفصا، فإنه قرأ النور بالياء مثل أبى بكر ، وقرأ الباقون : «ولا تحسبن» بالتاء [٤] .

موقف أهل اللغة من قراءة الياء ، لقد ضعف أهل اللغة قراءة الياء ، يقول الأزهري : «فوجهه ضعيف عند أهل العربية» [٥] .

---

(١) معاني القراءات ١/ ٤٣٩.

(٢) السابق .

(٣) السابق ١/ ٤٣٩ ، ٤٤٠.

(٤) السابق ١/ ٤٤١.

(٥) السابق ١/ ٤٤٢.

موقف الأزهري :

لقد أجاز الأزهري قراءة الياء في مواجهه أهل العربية، فقال: «وهو مع ضعفه جائز» [١] وجوزه بأمرين:

١ـ التفسير والمعنى : «المعنى: ولا يحسبن الذين كفروا أن سبقوا» .

٢ـ الروايات الأخرى : «وقد روى لابن مسعود أنه قرأ: «ولا يحسبن الذين كفروا» بالياء، وهذه القراءة تؤيد هذه القراءة ـ والله أعلم» .

رد أبى حيان : كما رد الأزهري ودافع عن القراءة في مواجهة أهل العربية، رد أبو حيان على الزمخشرى بقوله: «ولم ينفرد بها حمزة ـ كما ذكر ـ بل قرأ بها ابن عامر، وهو من العرب الذين سبقوا اللحن، وقرأ على وعثمان وحفص عن عاصم وأبو جعفر يزيد بن القعقاع وأبو عبد الرحمن وابن محيصن وعيسى والأعشى، وتقدم ذكر توجيهها ـ أي : الرسول أو حاسب أو المؤمن أوفيه ضمير يعود على «من خلفهم» ـ على غير ما نقل مما هو جيد في العربية فلا التفات لقوله : وليست كثيرة» [٢] .

الدفاع التاسع :

عند قول الله تعالى: ﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾ [يونس:٣٥] يعرض الأزهري القراءات في «يهدى» فيقول: « قرأ ابن كثير وابن عامر: ﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ﴾ بفتح الياء والهاء وتشديد الدال، وكان أبو عمرو يشم الهاء الفتحة.

وقرأ نافع «يهدى» بفتح الياء وسكون الهاء وتشديد الدال وقرأ أبو بكر عن عاصم في رواية يحيى: «يهدى» بكسر التاء والهاء وتشديد الدال، وروى الأعشى عن أبى بكر عن عاصم : «يهدى» بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال ، وكذلك قرأ الحضرمي ، وقرأ حمزة والكسائى بفتح الياء وتخفيف الدال» [٣].

---

(١) معاني القراءات ١/ ٤٤٢.

(٢) البحر المحيط ٤/ ٥١٠.

(٣) كتاب معاني القراءات ٢/ ٤٤، ٤٥.

موقف النجاة من قراءة نافع:

يقول الأزهري : «أما من قرأ : «أمن لا يهدى» بفتح الياء وسكون الهاء وتشديد الدال، فإن القراءة وإن رويت فاللفظ بها ممتنع عند النحويين، غير سائغة لاجتماع الساكنين، والعرب لا تكاد تجمع بينهما» [١].

موقف الأزهري:

يفتح الأزهري باب الجواز على لسان رئيس النحاة، وهو سيبويه فيقول : «وقد حكى سيبويه أنها لغة . وإن كان مثلها قد يتكلم به» [٢] فهنا أمران يدافع بهما عن قراءة نافع، وهما الرواية واللهجة ، ويرادان قول من قال : «والقراءة الثانية التى رواها قالون عن نافع يحكى فيها الجمع بين ساكنين، وهذا لا يجوز، ولا يقدر أحد أن ينطق به، قال محمد بن يزيد : لابد لمن رام مثل هذا أن يحرك حركة خفيفة إلى الكسر» [٣] ويرد ـ أيضا ـ البنا الدمياطي فيقول : «وأجاب عنه القاضي : بأن المدغم في حكم المتحرك ، وقال السمين : لا بعد فيه ، فقد قرئ به في : «فنعما» ، و«لا تعدوا» [٤].

الدفاع العاشر:

عند قول الله ـ تعالى: ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل:١٢٧] .

ذكر الأزهري القراءة في ﴿ضَيْقٍ﴾ فقال : «قرأ ابن كثير ـ وحده : «ولا تلك في ضيق» بكسر الضاد، ومثله في النمل : ﴿وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النمل:٧٠] وكذلك ورى أبو عبيد عن إسماعيل عن نافع، وخلف عن المسبى عن نافع ، وقرأ

---

(١) كتاب معاني القراءات ٢/ ٤٤،٤٥.

(٢) السابق ٢/ ٤٥ .

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٥٤.

(٤) الإتحاف ٢/ ١١٠ .

الباقون : «في ضيق» بفتح الضاد في السورتين» [١].

تعليق الأزهري :

لقد علق الأزهري على القراءتين السابقتين بأقوال العلماء مع بيان موقفه من قراءة الكسر، فنقل عن الفراء ما يلي: «الضيق: ما ضاف عنه صدرك، والضيق قد وقع في موضع الضيق ،كان على أمرين :

أحدهما: أن يكون جمعا للضيقة، كما قال الأعشى: كشف الضيقة عنا وفسح .

والآخر: أن يراد به «ضيق» فيخفف ، قال: ضيق، كما يقال: هين و هين [٢].

موقف الأزهري من توجيه الفراء :

قال الأزهري: «وعلى تفسير الفراء لا يجوز القراءة بالكسر» [٣]ولو اكتفى الأزهري بهذا لكان رأيه في قراءة الكسر، لكنه أخذ يذكر أقوالا أخرى غير التي ذهب إليها الفراء، فنقل عن:

١ـ **أحد العلماء**: قال الأزهري : «وقد قال غير الفراء: يقال: في صدر فلان ضيق وضيق» [٤] وهى عبارة ابن السكيت [٥].

٢ـ أبو عمرو في رواية أبى عبيدة : «والضيق: الذي يضيق، والضيق: الصدر، والضيق: الشك، والصديقة مثل: الضيق، وأنشد: بضيقة بين النجم والدبران [٦] .

٣ـ الزجاج : «من قال: ضيق فهو بمعنى ضيق، وخفف، وقيل: ضيق، وجائز

---

(١) كتاب معاني القراءات ٢/ ٨٤.

(٢) السابق ٢/ ٨٤ ، ٨٥ والنص في معاني القرآن للفراء ٢/ ١١٥ بتصرف

(٣) معاني القراءات ٢/ ٨٥ .

(٤) السابق ذاته.

(٥) إصلاح المنطق لابن السكيت ٣٢ .

(٦) معاني القراءات ٢/ ٨٥ .

أن يكون الضيق بمعنى: ضيق» [١] .

التعليق والمناقشة:

لقد استبعد الأزهري احتمال إنكار قراءة الكسر بناء على تفسير الفراء، وذلك بما يلي:

بإثباتها قراءة عن نافع بطريقين: بطريق أبى عبيد عن إسماعيل، وبطريق خلف عن المسيبى، وهذا في مواجهة من ينكرها عن نافع كأبي جعفر النحاس الذي يقول : «وهذا لا يعرف عن نافع» [٢] مع أنه ذكر أن أبا عبيد رواها قراءة عنه وكأبي حيان الذي يقول : «ولا يصح عنه» [٣] وإثباتها قراءة لنافع بجانب ابن كثير مما يقويها .

ذكر العلماء بعد الفراء الذين لا يفرقون بين المكسور والمفتوح ، فهما إما مصدران ، وإما مصدر واسم ، وإذا كان مذهب الفراء والكوفيين يفرق ، فإن مذهب أهل البصرة لا يعترف بهذا التفريق ، يقول النحاس : «وقال الكوفيون : الفراء وغيره : الضيق : بفتح الضاد في القلب والصدر ، والضيق : بكسر الضاد في الثوب والدار ، وما أشبهها مما يرى ، قال الفراء : فإذا رأيت الضيق بفتح الضاد قد وقع في موقع الضيق . فهو مخفف من ضيق، أو جمع ضيقة، ولا يعرف البصريون من هذا التفريق شيئا، وقالوا: إذا أردت المصدر، قلت: الضيق، كما تقول: البيع، وإذا أردت الاسم، قلت: الضيق، كما تقول: العلم، وأجازوا في ضيق التخفيف» [٤] .

الدفاع الحادي عشر:

عند قول الله تعالى : ﴿ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ ﴾ [الكهف:٢٥] يعرض الأزهري

---

(١) معاني القراءات ٢/ ٨٥ وانظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/ ٢٢٤ فالنص بتصرف.

(٢) إعراب القرآن ٢/ ٤١١.

(٣) البحر المحيط ٥/ ٥٥٠.

(٤) إعراب القرآن ٢/ ٤١١ ، ٤١٢ .

القراءات، فيقول: «قرأ حمزة والكسائى: «ثلاثمائة» مضافة ، وقرأ الباقون : ﴿ ثَلَثَ مِأْئَةٍ﴾ منونا» .

تعليق الأزهري :

لقد علق الأزهري بقوله : «من قرأ بالإضافة فإن الفراء قال: العرب يقولون: هذه سنين فاعلم، وسنون فاعلم، فمن جمعها بالواو والنون كان جمعا لاغير، ومن جمعها بالنون والياء في جميع الوجوه، قال: شبهت بالواحد، وكذلك من أجرى فهو كالواحد، كأنه قال: ثلثمائة سنه، فهذا وجه الإضافة .

ومن قرأه، فقال: «ثلثمائة سنين» ففيه وجهان: أحدهما: أن يجعل «سنين» في موضع النصب، ينصبها بالفعل، كأنه قال: ولبثوا في كهفهم سنين ثلثمائة .

الوجه الثاني : أن يجعل «سنين» في موضع الخفض، بدلا من قوله : «ثلثمائة» [(١)] .

حكم الأزهري على القراءتين:

يقول الأزهري: «وكل حسن جيد» [(٢)] .

اعتراض على قراءة الإضافة:

ساق الأزهري اعتراضا أخبر به المنذرى عن أبى حاتم، فقال: «وأخبرنى المنذرى عن اليزيدى، قال : سمعت أيا حاتم ، يقول في قوله : «كأنه قال : ليست مشهورة» [(٣)] .

الرد على أبى حاتم: رد الأزهري على أبى حاتم بقوله: «وهذا يكون بدلا، كما قال الفراء» [(٤)] .

---

(١) معاني القراءات ٢/ ١٠٨ وكلام الفراء في معاني القرآن ٢/ ١٣٨ وقد تصرف فيه الأزهري .

(٢) السابق ٢/ ١٠٨.

(٣) السابق .

(٤) السابق ٢/ ١٠٩.

التعليق :

ينتصر الأزهري ـ هنا ـ لرأي الفراء، ويرد بع على عدم شهرة القراءة .

الدفاع الثانى عشر:

عند قول الله ـ تعالى: ﴿قَالَ ءَاتُونِيٓ﴾ [الكهف:٩٦] بقطع الألف وقال الفراء: قرأ حمزة والأعمش : «قال أتوني» مقصورة، ونصبا «قطرا» بها، وجعلاها من «جيشونى» قال : «أتوني» أي : أعطوني، إذا طولت الألف ، ومثله : ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ [الكهف:٦٢] ، قال وإذا لم تطول الألف أدخلت الياء في المنصوب، وهو جائز، قال وقول حمزة والأعمش صواب وليس بخطأ من وجهين:

يكون مثل قوله: آخذت الخطام، أخذت الخطام.

ويكون على ترك الهمزة الأولى في قوله : «أتونى» فإذا سقطت الأولى همزت الثانية» [(١)] .

التعليق :

يذكر الأزهري دفاع الفراء عن قراءة حمزة والأعمش بإيجاد الوجوه التى تجعل القراءة مصيبة وليست بخاطئة.

الدفاع الثالث عشر:

عند قول الله ــ تعالى : ﴿أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [(٢)] ، و﴿يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾ [(٣)] ، و﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [(٤)] يحكى الأزهري القراءات في لفظ ﴿أَيُّهَ﴾ فيقول: «قرأ بن عامر وحده ﴿أَيُّهَ﴾ بضم الهاء فيهن ، وقرأ الباقون بفتح الهاء فيهن» [(٥)] .

---

(١) كتاب معاني القراءات ٢/ ١٢٥.

(٢) النور/ ٣١.

(٣) الزخرف/ ٤٩.

(٤) الرحمن/ ٣١.

(٥) كتاب معاني القراءات ٢/ ٢٠٦.

تعليق الأزهري على قراءة ابن عامر:

لقد علق الأزهري على قراءة بن عامر ، بقوله : «أما قراءة ابن عامر ﴿أَيُّهَ﴾ بضم الهاء فهو ضعيف في العربية ، والقراءة : ﴿أَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ [النساء:١٣٣] «أي» اسم مبهم مبنى على الضم ؛ لأنه منادى مفرد ، وهاء لازمة لـ«أي» للتنبيه ، وهى عوض من الإضافة في «أي» لأن أصل «أي» أن تكون مضافة إلى الاستفهام والخبر ، وإذا أثبت ، قلت: أيتها المرأة ، واجتمع القراء على فتح الهاء في قوله : ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ﴾ [الفجر:٢٧] فدل ذلك على أن القراءة «يأيها» كذلك لا أدرى لأحد أن يقرأ «أيّهُ» بضم الهام ، وقد قال أبو بكر بن الأنبارى : أن «أيّهُ» لغة ، وأجاز قراءة بن عامر على تلك اللغة» (١) .

التعليق والمناقشة :

من خلال تعليق الأزهري على قراءة ابن عامر ، نلحظ ما يلى :

أولا : لقد وقع الأزهري في تناقض ، حيث ذكر قراءة عن ابن عامر ، ثم يقول : «لا أدرى لأحد أن يقرأ بضم الهاء» ويصفها صراحة فيقول : «أما قراءة ابن عامر «أيهُ» بضم الهاء فهو ضعيف في العربية» ، وعلى رغم صغر التضعيف يذكر رأي ابن الأنهارى أنها لغة وجوازه قراءة ابن عامر على تلك اللغة .

ثانيا : يعتبر ذكر الأزهري لرأي ابن الأنهارى كون «أيهُ» بضم الهاء لغة اعترافا منه بأنها قراءة وبأنها جائزة ، وما ذكره ابن الأنبارى دفاع عما ضعفه وجهله الأزهري عن هذه القراءة ، والصواب مع ابن الأنبارى حيث عينها أبو حيان بقوله : «لغة لبنى مالك رهط شقيق بن سلمة» (٢) .

ثالثا : وتضعيف الأزهري لقراءة ابن عامر مسبوق بتضعيف أبى على الفارس لها ،

---

(١) كتاب معاني القراءات٢/ ٢٠٧.

(٢) البحر المحيط ٦/ ٤٥٠ .

حيث ينقل عنه القرطبى رأيه وحجته ، فيقول : «وضعف أبو على ذلك جدا ، وقال : آخر الاسم هو الياء الثانية من «أي» فالمضموم ينبغى أن يكون آخر الاسم ، ولو جاز ضم الهاء ـ ها هنا ـ لاقترانها بالكلمة ، لجاز ضم الميم في «اللهم» لاقترانها في كلام طويل» [(١)].

الرد على أبى على :

ويرد على أبى على بما يلى [(٢)] :

١ـ القراءة ثابتة بالرواية .

٢ـ القراءة لهجة من لهجات العرب ، وموجهة عند العلماء .

٣ـ القراءة ثابتة في الشعر العربي ، حيث أنشد الفراء :

يـا أيـه القلـب اللجـوح الـنفس أفـق عـن البـيض الحـسان اللعـس

ونلحظ أن الأزهري أخف حدة من أبى على ؛ وذلك لأنه التمس لها وجها بثبوتها ـ على لسان غيره ـ لجهة من لهجات العرب .

الدفاع الرابع عشر :

عند قول الله تعالى : ﴿فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ﴾ [النمل:٢٨] يحكى الأزهري القراءات في ﴿فَأَلْقِهْ﴾ فيقول : «روى عبد الوارث وشجاع عن أبى عمرو : «فألقهْ» جزما ، وقال : وإن شئت «فألقهى» واختار «فألقهى» وقال اليزيدى عنه «فألقهْ» جزما ، ووافق حفص أبا بكر في قوله : «فألقه» جزما» [(٣)] .

تعليق الأزهري على هذه القراءة :

لقد علق الأزهري بحكمين :

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٦/ ٤٧٧٥ .

(٢) تنظر هذه الردود في الجامع ٦/ ٤٧٧٥ والبحر ٦/ ٤٥٠ .

(٣) كتاب معاني القراءات ٢/ ٢٤٠ .

الأول : للنحاة ، وهو عدم جودة قراءة الجزم ، فقال : «وأما جزم الهاء فليس بجيد عندهم» [١] في مقابل اجتماعهم على قراءة الإشباع «ووجه القراءة فيها كما اجتمع عليه النحويون «فألقهى» بالياء» [٢] .

الثاني : للأزهري نفسه ، وهو عدم إنكاره ثبوت الجزم لجهة من لهجات العرب حيث قال : «ولا أنكر أن يكون لغة ، فإن بعض القراء قرأوا بها ، ولم يقرأوا إلا وقد حفظوها عن العرب» [٣] .

التعليق والمناقشة :

يحمد للأزهري أنه يرد ويدافع عن جودة القراءة عند النحاة ، ولا يعيب الأزهري اختياره قراءة من القراءات ، كما فعل أبو عمرو في «فألقهى» ، ولكن الذي لا يحمد له أنه ذكر في موضع آخر ما يخالف به مقاله الأول ، فيقول : « ويروى عن العرب الجزم المحض في أمثال هذه الهاءات ، فهو وهم ؛ لأن العرب يختلس الهاءات ، اختلاسا خفيا ، إذا سمعه الحضرمى ظنه جزما ، وذلك الظن منه وهم» [٤] فكيف يثبت الجزم لغة ويدافع بها عن القراءة ، ثم يجعلها ـ أي : اللغة ـ وهما ؟ ! ولذلك أرى أن القراءة الجزم صحيحة وليست بوهم لما يلي :

(١) تواتر القراءة بها ، يقول أبو حيان : «هي قراءة في السبعة ، وهى متواترة ، وكفي أنها منقولة عن إمام البصريين أبى عمرو بن العلاء ، فإنه عربي وسامع لغة» [٥] .

(٢) هي لهجة من لهجات العرب معزوة ، يقول الكسائى : «سمعت أعراب

---

(١) كتاب معاني القراءات ٢/ ٢٤٠ .

(٢) السابق .

(٣) السابق ذلته .

(٤) السابق ١/ ٢٦٢ ، ٢٦٣ .

(٥) البحر ٢/ ٤٩٩ .

عقيل وكلاب يقولون : «لربهْ لكنود» بالجزم ، و«لربه لكنود» بغير تمام ، و«لـهْ مـال» و«لهُ مـال» وغـير عقيـل وكـلاب لا يوجـد في كلامـه اختلاس ولا سكون في «لـه» وشبهه ، إلا في ضرورة ، نحو قوله :

له زجل كأنه صوت حاد .

وقال : إلا لأن عيونه سيل واديها» [١] .

الدفاع الخامس عشر :

عند قول الله ـ تعالى : ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [يس:٨١] .

يعرض الأزهري القراءات في ﴿بِقَٰدِرٍ﴾ فيقول : «قرأ الحضرى وحده «يقدر على أن يخلق» بالياء ، والرفع على «يفعِل» وكذلك اقرأ في الأحقاف [٢] : «يقدر على أن يحيى الموتى» وقرأ سائر القراء «بقادر» بالياء والخفض والتنوين في السورتين» [٣] .

تعليق الأزهري على القراءات :

حوى تعليقه على ثلاثة عناصر :

الأول : الحكم على القراءتين السابقتين : قال : «الذي قرأ به الحضرى جيد في باب النحو والعربية صحيح ، والذي قرأ به القراء جيد عند حذاق النحويين) [٤]

الثاني : إنكار أبى حاتم لقراءة القراء ، يقول الأزهري : « وكان أبو حاتم

---

(١) البحر ٢/ ٤٩٩ .

(٢) ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأحقاف:٣٣] .

(٣) كتاب معاني القراءات ٢/ ٣١٢ .

(٤) السابق ٢/ ٣١٣ .

السجستاني بوهن هذه القراءة التى اجتمع عليها القراء ويضعفها» [١] .

الثالث : الرد على أبى حاتم ، يقول الأزهري : «وغلط فيما ذهب إليه» [٢] .

وتتلخص رد ود الأزهري على أبى حاتم فيما يلي :

١ ـ هذه الياء لها معنى يتغير المعنى بدونها ، فهى داخلة في سياق جحد ، يقول : «وأخبرنى المنذرى عن أبى العابس أحمد بن يحيى أنه قال : في قوله : ﴿وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ﴾ [الأحقاف:٣٣] هذه الياء التى تدخل للجحد ؛ لأن المجحود في المعنى ، وإن كان قد حال بينهما بأن المعنى : أو لم يروا أن الله قادر على أن يحيى الموتى» فإن اسم «يروا» وما بعدهما في صلتها لا تدخل فيه الياء ، ولكن معناه جحد فدخلت للمعنى ، قال : وقال الفراء والكسائى : يقال ، ما ظننت أن زيدا إلا قائم ، ما ظننت أن زيدا قائم ، فهذا مذهب الكسائى والفراء» [٣] .

وقال في موطن آخر : «فالباء دخلت في خبر «أن» بدخول «أولم» في أول الكلام ، ولو قلت : ظننت أن زيدا بقائم ، ولم يجز ، ولو قلت ما ظننت أن زيدا بقائم ، جاز ؛ لدخول حرف النفي في أوله ، دخول «أن» إنما هو توكيد للكلام ، فكأنه في تقدير : أليس الله بقادر على أن يحيى الموتى» [٤] .

٢ ـ جواز العلماء القراءة الباء ، فيقول : «وأجاز سيبويه وأبو العباس المبرد وأبوإسحاق الزجاج وأحمد بن يحيى ما أنكره السجستانى ، وهو أعلم بهذا الباب منه» [٥] .

٣ ـ كثرة القراء ، يقول : «والقراء أكثرهم على هذه القراءة» [٦] .

---

(١) معاني القراءات ٢/ ٣١٣ .

(٢) السابق : ٢/ ٣١٣ .

(٣) السابق .

(٤) السابق : ٢/ ٣٨٣ .

(٥) السابق : ٢/ ٣١٣ .

(٦) السابق .

٤ـ ذكرت الباء في الشعر ، وأنشد الفراء في مثل هذه الباء :

فـــما رجعـــت بخائبـــة ركـــاب حكـيم بـــن المـسيب منتهاهـــا [١]

٥ـ قياسية هذا الباب ، يقول : «ويقاس على هذا ما أشبهه ، قال : وتقول : ما أظنك بقائم ، وما أظن أنك بقائم ، فإذا خلعت الباء نصبت الذي كانت له بها تعمل فيه من الفعل» [٢] .

الدفاع السادس عشر :

عند قول الله ـ تعالى : ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾ [الصافات:١٢] يعرض الأزهري القراءات فيقول : «قرأ حمزة والكسائي : «بل عجبتُ ويسخرون» بضم التاء ، وقرأ الباقون : ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾ بفتح التاء» [٣] .

تعليق الأزهري :

علق الأزهري على قراءة حمزة والكسائي ، وحوى تعليقه ثلاثة عناصر :

الأول : بيان معنى قراءتها : «ومن قرأ : «بل عجبتُ» بضم التاء ، فالفعل لله جل وعز والمراد به مجازاته الكفار على عجبهم من إنذار الرسول إياهم ، كما قال جل وعز : ﴿ بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ﴾ [ق:٢] أي : عجبوا مكذبين» [٤] فيكون من باب المشاكلة اللفظية عجب الكفار تكذيب ، وعجب الله عقاب وعذاب .

الثاني : بيان موقف الملحدين من هذه القراءة :

يقول الأزهري : «ولعل بعض الملحدين ينكر هذه القراءة بإضافة العجب إلى الله» [٥] وقد رد الأزهري بما يلي :

---

(١) معاني القراءات ٢/ ٣١٣ .

(٢) السابق .

(٣) السابق :٢/ ٣١٧.

(٤) السابق .

(٥) السابق .

١ـ بيان معنى العجب من الله من باب المشاكلة اللفظية .

٢ـ بالقراءات ، يقول : «وقد رويت هذه القراءة عن على وابن عباس» وأضاف أبو حيان : «ابن سعدان وابن مقسم وعبيد الله والنخعى. وابن وثاب وطلحة وشفيق والأعشى» [١] .

٣ـ إثبات العجب لله على لسان الرسول ﷺ يقول الأزهري : «وقد ذكر النبي ﷺ عجب ربكم من إلكم وقنوطكم وسرعة إجابته إياكم» [٢] .

الثالث : بيان موقف الأزهري :

لقد ذكر الأزهري عدة ردود ليدافع بها عن القراءة ويجعلها صحيحة ، يقول : «وهذه القراءة صحيحة بحمد الله لا ليس فيها ولا دخل» [٣] وهذا في مواجهة من أنكر هذه القراءة ، ومنهم

القاضى شريح ، حيث يقول أبو حيان : «وأنكر شريح القاضى هذه القراءة، وقال : الله لا يعجب ، فقال إبراهيم : كان شريح معجبا بعلمه ، وعبد الله أعلم منه ـ يعنى عبد الله بن مسعود» [٤] . ومما يدعم موقف الأزهري في دفاعه عن القراءة ما يلى :

١ـ اعتراف العلماء بها والذهاب إليها ، يقول النحاس : «وإليها ذهب أبو عبيد» [٥] كما أحبها الفراء ، فقال : «والرفع أحب إلىَّ ، لأنها قراءة على وابن مسعود وعبد الله ابن عباس» [٦] .

---

(١) البحر المحيط ٧/ ٣٥١ .

(٢) كتاب معاني القراءات ٢/ ٣١٧، ٣١٨ .

(٣) السابق .

(٤) البحر المحيط ٧/ ٣٥٤ والقصة في معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٨٤ .

(٥) إعراب القرآن ٣/ ٤١٣ .

(٦) معاني القرآن ٢/ ٣٨٤ .

٢ـ عود ضمير المتكلم إلى رسول الله ﷺ على تقدير «قل بل عجبت» [١].

٣ـ جواز اتحاد المعنى في القراءتين ، يقول النحاس : «سمعت على بن سليمان : معنى القراءتين واحد ، والتقدير : قل يا محمد : بل عجبت ؛ لأن النبي ﷺ مخاطب بالقرآن ، وهذا قول حسن» [٢] .

الدفاع السابع عشر :

عند قول الله تعالى : ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٢٥ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ [الفجر:٢٥، ٢٦]

عرض الأزهري للقراءات في الفعلين ﴿يُعَذِّبُ﴾ ، و﴿يُوثِقُ﴾ .

فقال : «قرأ الكسائى والحضرمى : ﴿لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٢٥ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ وكذلك روى المفضل عن عاصم ، وقرأ الباقون : ﴿لَّا يُعَذِّبُ﴾ ، ﴿وَلَا يُوثِقُ﴾ بالكسر» [٣] .

اعتراض على قراءة الكسر :

ساق الأزهري رواية عن الجنيد أنه لحّن قراءة الكسر ، فقال : « وحدثنى السعدي ، قال : حدثنا القرطبى ، قال : حدثنا على بن الحسين ، عن أبيه ، عن يزيد النحوي ، قال : كنت أعلم ولد الجنيد بن عبد الرحمن ، وهو وال على خراسان ، فدخل عليه ابنه ، فقرأ عليه : «لا يعذَّب عذابه أحد» فقال : لحنت يا غلام ، فقال : هكذا علمني معلمي ، قال : فدعاني ، فقلت : هكذا حدثنى عكرمة عن ابن عباس» [٤] .

التعليق والمناقشة :

في القصة التى أوردها الأزهري نرى أمرين :

الأول : تلحين الجنيد لقراءة الكسر .

---

(١) البحر المحيط ٧/ ٣٥٥ .

(٢) إعراب القرآن ٣/ ٤١٣ .

(٣) كتاب معاني القراءات ٣/ ١٤٥ .

(٤) السابق : ٣/ ١٤٥ ، ١٤٦ .

الثاني : دفاع معلم الغلام عن القراءة بإسنادها إلى ابن عباس . والصواب أن القراءة صحيحة ولم تكن لحنا ، والدفاع عنها واجب ؛ وذلك لما يلي :

١ـ سوق الأزهري نفسه توجيهًا لها ، حيث قال : «ومن قرأ : «لا يعذَّب ولا يوثق» فالمعنى : لا يتولى يوم القيامة عذاب الله أحد : ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الحج:٥٦] .

وقيل : لا يعذب أحد في الدنيا كعذابه في الآخرة [(١)] ساق هذا التوجيه مع قراءة الفتح ، ثم يسوق ما جاء عن الجنيد ، ثم يتبعه بتوجيه للقراءة نفسها على لسان أحد العلماء ، فقال : « قال على بن الحسين بن واقد : «لا يعذَّب» فمعناه : لا يعذب بعذاب الله أحد» [(٢)] .

٢ـ ثبوتها قراءة عن النبي ﷺ «وقد روى أبو قلابة عن النبى ﷺ أنه قرأ بفتح الذال والثاء» [(٣)] .

٣ـ رجوع أبى عمرو إلى هذه القراءة ، يقول القرطبي : وروى أن أبا عمرو رجع إلى قراءة النبي ﷺ [(٤)] .

٤ـ قراءة طائفة من القراء ،هم :ابن سيرين وابن أبى إسحاق وسوار القاضي وأبو حيوة وابن أبى عبلة وأبو بحوية وسلام وسهل وخارجة عن أبى عمرو [(٥)] والحسن [(٦)] .

٥ـ اختيار بعض العلماء لها : «واختار أبو عبيد وأبو حاتم فتح الذال والثاء» [(٧)] .

---

(١) معاني القراءات ٣/ ١٤٥ .

(٢) السابق ٣/ ١٤٦ .

(٣) الكشف ٢/ ٣٧٣ والجامع ١٠ / ٧٣٩٤ .

(٤) الجامع السابق ذاته .

(٥) البحر ٨/ ٤٧٢ .

(٦) الإتحاف ٢/ ٦٠٩ .

(٧) الجامع ١٠ / ٧٣٩٤ .

في هذا المبحث رأينا سهاما قد صوبت ، ونقودا قد وجهت نحو بعض القراءات القرآنية من بعض العلماء ؛ لأن القراءات ـ في زعمهم ـ لا تتمشى وقواعدهم النحوية ، ولا تتساوق والمعاني اللغوية التى اعتقدوها وذهبوا إليها ؛ ظنا منهم أن القاعدة تقنين لابد أن يخضع له كل نموذج ينضوى تحته بما في ذلك المروى من القراءات ، وهذا ليس بجيد ؛ لأن القراءات لها مكانتها التى تؤهل لدراستها واستخلاص القاعدة منها ، وانبرى الأزهري مدافعا عن القراءات ، ومفندا هذه الاتهامات ، في مواقف صريحة من أقواله ، أو مستنبطة من بين سطور كتابه ، متوشحا ـ في هذا الميدان ـ بعديد من الأسلحة ، ومتخذا أنواعا من الوسائل ، تتلخص فيما يلي :

أولا : توجيه القراءات وتخريجها :

استخدم الأزهري توجيه القراءات وتخريجها كوسيلة دفاع عن القراءة التي كان لبعض العلماء موقف منها ، مستعينا بعلمه ، ومفيدا من آراء وتوجيهات سابقيه ، وبالنظر في هذه التوجيهات ، وجد أنها أنت في المستويات التالية .

المستوى الأول : النحوى والصرفي :

لاشك في أن ـ هناك ـ قراءات من باب النحو والصرف ، فتوجيهها وتخريجها يكون من بابها ، والدفاع عنها ـ أيضا ـ يكون من جنسها ، مثل دفاع الأزهري عن قراءة : غير بالنصب بتخريج الفراء والزجاج ؛ إنصافا للقراءة من تشذيذه إياها ، وكما وجه قراءة عاصم في نصب «صلاتهم» ورفع «مكاء وتصدية» في مواجهة اتهام عاصم باللحن فيها ، وذكر توجيه الفراء في قراءة : «ثلثمائة سنين» بالتنوين والإضافة ؛ ردا على أبى حاتم الذي ادعى عدم شهرتها ، ووجه قراءة : «أتوني» بالقصر قراءة حمزة والأعمش ؛ ردًّا على من خطأ القراءة بها ، ورأيناه يوجه قراءة «بقادر» بالياء الداخلة على اسم الفاعل في سباق نفي ، ردا على أبى حاتم الذي وهى هذه القراءة ، وأقام توجيها لقراءة الكسر في «لا يعذب ... ولا يوثق» ردا على

تلحين الجنيد لها .

المستوى الثاني : الصوتي :

هناك قراءات مثلت الأصوات ، مثل باب الإدغام ، والهمز ، وغير ذلك ، ولم تسلم بعض القراءات الصوتية من نقد ، ودافع الأزهري و مثل دفاعه عن قراءة الهمزتين المحققتين في «أأنذرتهم» رد على أبى حاتم ، كما ذكر رأي غير الفراء في عدم التفريق بين المكسور والمفتوح في ضاد «ضيق» وهذا في مواجهة الفراء .

المستوى الثالث : الدلالة والمعنى :

إبراز المعنى وإيضاحه استخدمه الأزهري كوسيلة للدفاع عن القراءات ، فقد ذكر توجيه الفراء لمعنى قراءة : «هل يستطيع ربك» بالياء ورفع الباء في مواجهة إنكار هذه القراءة ، وأبرز الأزهري معنى قراءة الياء في «ولا يحسبن» في مواجهة تضعيف أهل العربية لها .

المستوى الرابع : البلاغة :

لم يجعل الأزهري الدراسات البلاغية في توجيه القراءات القرآنية ، كما فعل في توجيه قراءة : ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾ في وجه إنكار المنكرين لقراءة الرفع .

المستوى الخامس : الأدب :

للشعر دور في تأكيد الظاهرة اللغوية فقد ساق الأزهري كلاما للفراء ، وفيه شعر يقوى به القراءة في مثل قراءة : «بقادر» في مواجهة من أنكرها .

المستوى السادس : النقل والنص الشريف :

لم يغفل الأزهري ــ كذلك ــ دور الحديث الشريف في تقوية دفاعاته عن القراءات ، مثل قراءة الرفع في ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾ ردا على من رفضها .

ثانيا : اللهجات :

لقد وظف الأزهري اللهجات توظيفا يدافع به عن القراءات ، وذلك للارتباط الوثيق بينهما ، من ذلك ما وجدناه ردا منه على من ذهب إلى عدم جودة قراءة «عسيتم» بكسر السين بإثباتها لهجة ، وما وجدناه ـ كذلك ـ في قراءة : ﴿فَنِعِمَّا

﴿هِىَ﴾ بكسر النون وسكون العين وتشديد الميم ؛ دفاعا عنها في مواجهة إنكار النحاة لها وكما أنصف قراءة ابن كثير : «قال فرعون وأمنتم» من نفسه بإثباته جريانها على لسان بعض العرب ، كما دافع بهذه الوسيلة امتناع النحاة وعدم تسويغهم لقراءة : «لا يهدي» بفتح الياء وسكون الهاء وتشديد الدال ، كما ذكر رأي ابن الأنهارى في أن القراءة بضم الهاء في «أيهُ» من باب اللهجات ؛ ردا على الأزهري نفسه بأن القراءة بها ضعيفه ، كما رد الأزهري نفسه بهذا السلاح على عدم جودة قراءة الجزم عند النحاة في قوله : «فألقهْ» .

ثالثا : مكانة القارئ ومنزلته :

استعان الأزهري بمكانة ومنزلة القارئ العلمية والخلقية كسلاح ماض في دفاعاته عن القراءة ، كما تحدث عن عاصم في مواجهة اتهامه باللحن في نصب «صلاتهم» ورفع «مكاء وتصدية» .

رابعا: الرواية :

فهمنا من الأزهري ـ في موضع ـ أن الرواية من الوسائل القوية للدفاع بها عن نفسها ، كما في قراءة : «لا يهدى» بفتح الياء وسكون الهاء وتشديد الدال وتقرير الأزهري أنها مروية مما يؤكد هذا ، ويؤكده غيره بإيراد الرواية في «فنعما من» و«لا تعدوا» على التقاء الساكنين.

خامسا : الكثرة :

لقد اعتمد الأزهري على كثرة القراء الذين قرؤوا بالقراءة في تأكيد القراءة وإثباتها ، مثلما قام بذلك في قراءة «بقادر» حيث ذكر كثرة القراء بها. في مواجهة أبى حاتم .

سادسا: إجازة العلماء للقراءة واختيارهم لها:

لقد أثبت الأزهري الجواز الصادر من العلماء وجوازًا للقراءة و جواز لإثباتها ودفعا لإنكارها ، رأينا ذلك في قراءة : «فنعما هى» بكسر النون وتسكين العين وتشد

الميم، واختيار أبو عبيد لها في مواجهة إنكار النحاة ، ورأينا ذلك في جواز العلماء لقراءة : «بقادر» في مواجهة أبى حاتم .

سابعا : القراءات الشاذة :

إن للقراءات الشاذة دورا كبيرا وخطيرا في إثبات القراءات الغير شاذة ، أي : المتواترة ، والدفاع عنها إذا وجه إليها نقد أو قدح ، وهذا ما رأيناه جليا عند الأزهري ، فقد ذكر قراءة ابن مسعود ﷺ في «ولا يحسبن» بالياء ، مؤكدا بها قراءة ابن عامر وحفص وحمزة ، ورادا بها على من ضعفها من أهل اللغة ، وكما أورد قراءة على وابن عباس المدعمة لقراءة الرفع في «بل عجبت» وردا على من أنكرها ، وكذلك ما أورده من رد معلم بن جنيد على تلحين الجنيد لقراءة الكسر في «لا يعذب ....ولا يوثق» بأنها مروية عن ابن عباس .

وإن شاء الله سأفرد لهذا السلاح وهذه الوسيلة حديثا؛ نظرا لكثرة ردوده في كتاب الأزهري الذي نحن بصدد دراسته .

فوائد بيان هذه الأسلحة وهذه الوسائل : لقد ركزنا على إبراز هذه الوسائل، وما كشفنا اللثام عنها إلا لأمرين:

الأول : معرفة دور الأزهري كقاضٍ عن القراءة الموجه إليها نقد.

الثاني : اصطحابها عندما نحتاج إليها في مواجهة من ينكر قراءة أو يصدر ضدها حكما .

*****